الدراسات الإسلامية

الإصلاح الحسيني وأثره في الخطاب الفقهي المعاصر
(نظرية الميتافيزيقيا انموذجا)

المدرس الدكتور
محمد فرحان عبيد النائلي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

الأستاذ
عبد الزهرة لفته عبيد الجبوري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

الإصلاح الحسيني وأثره في الخطاب الفقهي المعاصر (نظرية الميتافيزيقيا انموذجا)

The Husseini reform and its impact on contemporary jurisprudential discourse (metaphysics theory as a model)

المدرس الدكتور
محمد فرحان عبيد النائلي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
mohammedf.alnaaly@uokufa.edu.iq

الأستاذ
عبد الزهرة لفته عبيد الجبوري
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

ملخص البحث :

إنّ لثورة الإمام الحسين أهدافاً كثيرةً وعميقةً، جميعها حري بالبحث والتنقيب والتدقيق، ونحن نُريد أن نُسلّط الضوء على أحد أهم أهداف تلك الثورة المباركة، والذي كان شعاراً لها، وهو الإصلاح، وهذا ما صرَّح به الإمام الحسين.

مشكلة البحث :أثر الاصلاح الحسيني على الخطاب الفقهي المعاصر في ظل النظرية الميتافيزيقية .

أهداف البحث :يهدف البحث الى بيان الاصلاح الحسيني وأثره في انتاج الخطاب الفقهي المعاصر من خلال النظريات التي فسرت النهضة الحسينية ومجريات الاحداث فيها .

خطة البحث: قسم الباحث البحث الى مقدمة ومباحث ثلاث تناول في المقدمة مشكلة البحث وأهدافه، ومنهجيته .

تناول في المبحثالأول: مفهوم الاصلاح الحسيني ودواعيه ومراحله وأثره في الخطاب الفقهي. وفي المبحث الثاني أثر الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر . وفي المبحث الثالث النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني للخطاب الفقهي المعاصر.

وفي الختام ذكر الباحث بعض النتائج والتوصيات التي افرزها البحث توصل اليها الباحث في بحثه .

الكلمات المفتاحية : الاصلاح ، الخطاب ، الفقه ، المعاصر ، الميتافيزيقيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين وصُحبه المنتجبين (رض). وبعد .. إنّ لثورة الإمام الحسين أهدافاً كثيرةً وعميقةً، جميعها حري بالبحث والتنقيب والتدقيق، ونحن نُريد أن نُسلّط الضوء على أحد أهم أهداف تلك الثورة المباركة، والذي كان شعاراً لها، وهو الإصلاح، وهذا ما صرَّح به الإمام الحسين . والخطاب الفقهي لا ينبغي ان يكون تقليدياً وانما يجب ان يكون خطاباً مواكباً لكل التطورات المتجددة والمتطورة التي تؤثر بالأفراد حيث يجب العمل على صقله واعادة صياغته حسب وجهة النظر المتجددة. في إطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية اي يكون ذلك الخطاب ذو التأثير الايجابي على المجتمع البشري وهو الذي يستفاد منه جميع افراد الامة لتلك الخطابات والمتأثرين بها والسامعين لها بغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب التي تسعى اليه كل امة وتود تحقيقه .

مشكلة البحث : ما هو أثر الاصلاح الحسيني على الخطاب الفقهي المعاصر في ظل النظرية الميتافيزيقية ؟

أهداف البحث :يهدف البحث الى بيان الاصلاح الحسيني وأثره في انتاج الخطاب الفقهي المعاصر من خلال النظريات التي فسرت النهضة الحسينية ومجريات الاحداث فيها .

خطة البحث: قسم الباحث البحث الى مقدمة ومباحث ثلاث تناول في المقدمة مشكلة البحث وأهدافه، ومنهجيته .

تناول في المبحثالأول: مفهوم ودواعي ومراحل الاصلاح الحسيني وأثره في الخطاب الفقهي. وفيه مطلبان:

المطلبالأول : مفهوم الاصلاح الحسيني والخطاب الفقهي في اللغة والاصطلاح .

والمطلب الثاني : دواعي ومراحل الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر.

وتناول فيالمبحث الثاني أثر الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر . وفيه مطلبان :

المطلبالأول: كلمات الفقهاء القدامى والمتأخرين حول الاصلاح الحسيني .

والمطلب الثاني : الاصلاح الحسيني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتناول فيالمبحث الثالث النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني للخطاب الفقهي المعاصر.

وفيه مطالب ثلاث :

المطلبالأول : مفهوم النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .

المطلب الثاني : شواهد وادلة النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .

المطلب الثالث : مناقشة النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .

وفي الختام ذكر الباحث بعض النتائج والتوصيات التي افرزها البحث توصل اليها الباحث في بحثه .

المبحث الأول : مفهوم الاصلاح الحسينيودواعيه ومراحلهوأثره في الخطاب الفقهي.

المطلبالأول : مفهوم الاصلاح الحسيني والخطاب الفقهي في اللغة والاصطلاح

المقصد الأول : مفهوم الاصلاح الحسيني والخطاب الفقهي في اللغة .

اولا–الإصلاح في اللغة: من صَلُحَ، الصلاح ضد الفساد، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره ، وقد أصلحه الله ، واصلح الشيء بعد فساده : أقامه(١)

والإصلاح ضد الإفساد. والمصلحة واحدةُ والمصالح والاستصلاح ضد الاستفساد(٢).

والصلاح والفساد مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال قال تعالى:﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وَآخرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠](٣).

والإصلاح والفساد مفردتان متلازمتان لا ينفكان عن بعضهما، حيث يصعب فهم وتعريف إحداهما دون فهم وتعريف الأخرى، حيث يصعب الاستدلال على معنى الفساد دون اعتباره حالة تتناقى مع مبدأ الصلاح والإصلاح (٤)

ثانيا– الخطاب الفقهي في اللغة :

الخطاب في اللغة: مصدر على وزن فِعال من خاطبه خطابًا ومخاطبة، وهو الكلام الموجه إلى طرف آخر، وفي التنزيل العزيز:﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]

والخطاب يعني الرسالة، وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]

وفصل الخطاب: الحكم بالبينة أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بـ: أما بعدُ، أو أن يفصل بين الحق والباطل، أو هو خطاب لا يكون فيه اختصار مخلٌّ، ولا إسهاب ممل(٥).

اما الفقه لغة: الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم".

فالفقه يعني الفهم والعلم (٦).

المقصد الثاني : مفهوم الاصلاح الحسيني والخطاب الفقهي في الاصطلاح .

اولا – الإصلاح اصطلاحاً: على الرغم من كثرة التعريفات المعاصرة للإصلاح سأقتصر على تعريفين فقط:

الإصلاح هو الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل متكامل[٧]. او هو تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات".[٨]

والمتأمل في هذين التعريفين يرى أنهما يركزان على العودة إلى الأصل، وهو صفاء الدين حيث خلق الله الإنسان على الفطرة، حيث يجب على الإنسان أن يتعلم من القرآن والسنة، وينشأ في بيئة سليمة، نقية من الأمراض الاجتماعية والانحرافات والتقليد الأعمى، حيث يبقى على المنهج الذي أراده الله تعالى له .

ثانيا- مفهوم الخطاب الفقهي في الاصطلاح:

١- مفهوم الخِطاب اصطلاحًا : فهنالك الكثير من التعريفات المُتعارف عليها للدّلالة على الخطاب ومنها :الخطاب مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل،أو النصوص والأقوال، أو إنّ الخطاب هو منهج في البحث في المواد المُشكّلة من عناصر متميّزة ومترابطة سواء أكانت لغة أم شيئا شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، أو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المتلقي، أو نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما.

والخطاب عند الأصوليين: الكلام المقصود منه إفهامُ مَن هو متهيِّئ للفهم، وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام، أعم من أن يكون مَن قصد إفهامه متهيئًا أم لا، وقيل: الأولى أن يفسر بمدلول ما يقصد به الإفهام[٩].

٢- مفهوم الفقه اصطلاحا :الفقه علُم إستنباط الأحكام الشرعية أو عِلم عملية الإستنباط بتعبير آخر[١٠]

المطلب الثاني : دواعي ومراحل الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر.

المقصد الأول :دواعي الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر.

إن للاصلاح الحسيني دواعي كثيرة، من أهمها:

١- علاج وضع الانحراف الذي أصيبت به الأمة كنتيجة حتمية لضبابية الرؤية التي أصابتها بسبب ابتعادها عن خط الرسالة من جهة، ولتسلط الطغيان الأموي الذي بلغ ذروته بتسلط يزيد على مقدرات المسلمين، واحتلاله منصبا يمثل لدى المسلمين رأس الهرم في المنظومة التشريعية والتنفيذية من جهة أخرى.

٢- إعادة الوعي الإسلامي للمسلمين. فقد رأى الإمام الحسين أن الجاهلية عادت بأعتى من ذي

قبل، وقد بدأ المسلمون بالتخلي عن مبادئهم وعقيدتهم، بعد أن حرّف الأمويون المسلمين عن عقيدتهم. فاستنقذ الإمام الحسين الدين من أيدي الظالمين، وانكشف قناع النفاق عن وجوه بني أمية حين أظهروا حقدهم الدفين وعداوتهم لله ورسوله، إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من آل بيت رسول الله عطاشى، ولم يقنعوا بذبح الأطفال، حتى وطأوا تلك الجثث الزواكي بحوافر الخيول وحملوا رؤوسهم على أسنة الرماح، ثم ساقوا حرائر الوحي وبنات الرسالة سبايا في البلدان.

٣- إحياء مشروع الإمامة الإلهية كما يفهم ذلك من قوله " أسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب"

المقصد الثاني : مراحل الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر.

قسّم الاصلاح الحسيني في نهضته إلى مراحل عدّة:

الأولى : تكمن في صمود الإمام في وجه استفزازات الحكومة وأطماعها الزائدة. فباعتقاده أنّ الإمام كان يهدف في هذه المرحلة إلى تقييم الظروف المحيطة به، وتحليل الأوضاع السائدة حوله، شأنه في ذلك شأن أيّ سياسي آخر.

الثانية: من صمود الإمام ووقوفه في وجه تجاوزات حكومة ذلك العصر من جهة، وعمله على الوصول إلى الحكم وتهيئة الظروف اللازمة لذلك من جهة أخرى. وتستغرق هذه المرحلة الفترةَ الواقعة بين خروج الإمام من مكّة وبين مواجهته لجيش الحُرّ.

الثالثة: من حين المجابهة مع الحُرّ، حيث سعى فيها الإمام الحسين إلى تجنّب وقوع الحرب، والتوصّل إلى صلحٍ يحفظ له شرفه. وقد بلغ الإمام في سعيه هذا إلى حدّ إقناع عمّال الحكومة بالصلح.

الرابعة: تبدأ من حين هجوم قوات العدوّ. وما قام به الإمام الحسين في هذه المرحلة كان عبارة عن دفاع مستميت، يبعث على الفخر، في مقابل هجوم دمويّ ووحشيّ اختتم بشهادته(ع).

المبحث الثاني : أثر الاصلاح الحسيني في الخطاب الفقهي المعاصر .

إن الخطاب الحسيني وبمستوياته المختلفة تربوياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً وعبر العقود المختلفة كانت له إشعاعات وعطاءات عميقة ومستوعبة استطاعت صياغة المجتمع الإسلامي وبأجياله المختلفة في فكره ومشاعره ومواقفه بصورة أصلية ومبدئية راسخة، فإن مثل هذه المشاعر والعطاءات الفكرية والتربوية التي صنعها خطاب الثورة الحسينية العام لابد أن يواكبه وبنفس مستواه الخطاب الحسيني الفقهي، فمن المعلوم أن أمور المجتمع وصياغة الموقف الجاد والقرار المؤثر لا تنطلق فقط من الحالة الثقافية والتربوية

العامة، فإن مقتضيات الخطاب الاجتماعي العام الذييننطلق من المبادئ والقيم الإسلامية العامة الإجمالية تختلف عن مقتضيات الخطاب الفقهي الخاصالذي ينطلقمن مقتضيات الظروف والضرورات الموضوعية الجزئية الخاصة.

فخطاب الثورة الحسينية في مستوى الفكر والثقافة هو خطاب ثوري، والموقف الفقهي أو الخطاب الخاص لا ينبغي أن يصنع لنفسه إطاراً مستقلاً نهائياً عن الخطاب الثوري العام. والأخطر من ذلك أن يتم تجبير وصياغة الخطاب الحسيني العام بما يتلاءم مع قناعات الموقف الفقهي الخاص. وهذه المقدمة كانت ضرورية للبدء بتناول كلمات الفقهاء حول الثورة الحسينية ومدى ضرورة هذا التناول الفقهي لاستكمال إشعاعات الثورة الحسينية في خطابنا وواقعنا فالخطاب الفقهي هو الحلقة الأخيرة التي تحول الثقافة والقيمة لموقف وحكم شرعي يصنع المشروع والإنجاز الموضوعي، ويوجد التناغم والانسجام بين المضمون الداخلي –بحسب تعبير السيد الصدر– أي الفكر والمشاعر والقناعات وبين المواقف الموضوعية، وإذا ما فُقِدَ الخطاب الفقهي فإن جزءاً كبيراً من العطاء الحسيني يتجمد، كما أن حالة من التضارب واللاانسجام سوف تحدث.[١١]

سوف أتوقف عند كلمات بعض الفقهاء القدماء والمتأخرين والمعاصرين فيما يرتبط بالثورة الحسينية مع أن بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن الأبواب الفقهية الذي نتناول الاصلاح الحسيني من خلاله.وذلك في مقصدين:

المطلبالأول:كلمات الفقهاء القدامى والمتأخرين حول الاصلاح الحسيني .

اولا – ماذكره السيد المرتضى:" ثم اختلف الناس فقال قوم: إن الخوف على النفس في إنكار المنكر يزيل الحسن كما يزيل الوجوب، وقال آخرون: إنما يزيل الحسن مضاعفاً إلى الوجوب في الموضع الذي لا يكون في الصبر على القتل إعزازاً للدين، فأما إذا كان في الصبر على القتل إعزازاً للدين حسن الإنكار ولم يجب". ثم قدم رأيه قائلاً: " ومن هذا الوجه يعلم قبح الصبر على القتل وإن كان فيه إعزاز للدين لأن القتل ظلماً مفسدة فلا يخرج من القبح لحصول إعزاز الدين فيه"[١٢] فالسيد المرتضى يرى حرمة إنكار المنكر بترتب الضرر على النفس مطلقاً، ولذا فقد اعتبر أن الإمام الحسين لم يكن عالماً بما آلت إليه مصيره، بل غلب على ظنه صدق أهل الكوفة معه ونصرتهم له وهذا حاصل ما ذكره في كتابه تنزيه الأنبياء والأئمة.[١٣]

ثانيا– ماذكره الطبرسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوْا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ ﴾(البقرة: ١٩٥)

قد ذكر أن " وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف، لأن في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة إذاخاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله عام الحديبية وفعله أمير المؤمنين بصفين وفعله الحسن مع معاوية من المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته، فإن عورضنا بأن الحسين قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين، أحدهما أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله، والآخر أن غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبراً كما فعل بابن عمه مسلم، فكان القتل مع عز النفس والجهاد أهون عليه" [١٤] فالشيخ الطبرسي يحرم الإضرار بالنفس لأجل إنكار المنكر وينفي أن يكون الإمام الحسين أقدم على الشهادة عالماً مختاراً فهو إما لم يكن عالماً باستشهاده أو كان مضطراً لذلك.

ثالثا- ماذكره النجفي: في سياق حديث عن شرطية الأمن من الضرر بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: " وقول الباقر(ع) في الخبر السابق: " يكون في آخر الزمان قوم مراؤون يتقرؤون – إلى أن قال –: لا يوجبون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير " محمول على أناس مخصوصين موصوفين بهذه الصفات، أو على إرادة فوات النفع مع الضرر، بل في الوسائل أو على وجوب تحمل الضرر اليسير، أو على استحباب تحمل الضرر العظيم، وإن كان لا يخلو من نظر بل منع في الأخير ضرورة ثبوت الحرمة حينئذ كما صرح به الشهيدان والسيوري، وما وقع من خصوص مؤمن آل فرعون وأبي ذر وغيرهما في بعض المقامات فلأمور خاصة لا يقاس عليهما غيرها"[١٥]

فأنه يعتبر حرمة تعريض النفس للضرر في سبيل إنكار المنكر وأن موقف مؤمن آل فرعون وأبي ذر وغيرهما – وهو ما يشمل الإمام الحسين– هو موقفٌ خاصٌّ لا يستفاد منه موقف شرعي عام.

رابعا– ماذكره شمس الدين:" ولقائل أن يقول: إن ما ورد في رسالة الإمام الحسين إلى أخيه محمد بن الحنفية–على تقدير صحة سندها– يدل بصراحة على أن التكليف بالأمر والنهي يشمل القضية السياسية وتكوين الدولة.فالتكليف بالأمر والنهي في هذه القضية من مختصات عصر الظهور – كالجهاد الابتدائي عند مشهور الفقهاء– وأما في عصر الغيبة فيختص التكليف بالأمر والنهي بالمنكرات الفردية"[١٦] فالشيخ شمس الدين يرى أن تفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اجتماعياً وسياسياً

كما نهض بها الإمام الحسين تختص بعصر الظهور .

وعند تتبع كلمات الفقهاء الأعاظم منذ الشيخ المفيد والطوسي ورواداً بفقهاء مدرسة الحلة وحتى الفقهاء المتأخرين تجدهم يقيدون وجوب الأمر والنهي مطلقاً بالأمن من الضرر دون أن يتوقفوا بالتأمل في الثورة الحسينية! وكيف تحمل الإمام الحسين الضرر على نفسه وعياله وأنصاره ونسائه في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

خامسا- المطهري:" وما أقصده هو أن النهضة الحسينية إنما رفعت من إمكانيات الاستنباط والاجتهاد لعلماء الإسلام والمسلمين بشكل عام، في دائمة أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" [١٧] . حيث تعرض الشيخ المطهري لمسألة تقيد الأمر والنهي بالضرر:" إن بعض علماء الإسلام –ومع شديد الأسف ينبغي علي أن أقول- إن بعض كبار علماء الشيعة أيضاً، والذين لم ننتظر منهم مثل هذا الموقف يقولون بأن حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقف عند نقطة عدم حصول الضرر بالمطلق، وليس عدم حصول المفسدة" [١٨] . ثم يقرر قائلاً " وبناءً عليه نقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال القضايا الكبرى لا يعرف الحدود، وليس هناك أمر محترم في هذه الحالة يمكن مقارنته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يمكنه أن يعيق تأدية هذا الواجب"[١٩].

سادسا- المنتظري: " وأما الأخبار التي مرت فمضافاً إلى ضعف أكثرها تحمل على صورة عدم القوة والقدرة وهي شرط عقلي، أو تحمل على صورة عدم إعداد المقدمات بحيث يقع عمله لغواً لا يترتب عليه أثر إهلاك نفسه، أو على كون المورد جزئياً لا يجوز بسببه إيقاع النفس في المهالك أو نحو ذلك من المحامل، وبالجملة فالواجب في المقام إجراء باب التزاحم، وتقديم ما هو الأهم ملاكاً، وهكذا كانت سيرة أصحاب النبي والأئمة الملتزمين بموازين الشرعية أمثال أبي ذر وميثم التمار وحجر بن عدي ورشيد ومسلم وهاني وقيس بن مسهر وزيد بن علي وحسين بن علي شهيد فخ، وقد استشهدوا في طريق الدفاع عن الحق، فما في الجواهر هنا من قوله: (وما وقع من خصوص مؤمن آل فرعون وأبي ذر وغيرهما في بعض المقامات فلأمور خاصة لا يقاس عليها غيرها كلام بلا وجه، فتدبر"[٢٠].

سابعا- محمد أمين زين الدين:" وإن كان تأثير أمره ونهيه في ذلك الشخص أكثر فائدة وجدوى للإسلام، وجب عليه أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وإن أوجب ذلك الضرر الشديد، وكان ذلك من الجهاد في سبيل الله، وليس من

مجرد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي تأريخ الإسلام أمثلة معروفة ومشهورة لذلك" [٢١].

فقد أشار لكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحول لعنوان الجهاد في الحالات التي تقتضي المصلحة الأهم تحمل الضرر الشديد مستشهداً بالمواقف المشهورة وهي إشارة لا تخفى للثورة الحسينية والمواقف المشابهة.

تاسعا- السيد الصدر استطاع أن يحل لغز الثورة الحسينية أن الإمام الحسين قرر الاستشهاد عالماً مخططاً ومختاراً للشهادة منذ بداية ثورته، ليهز بدمه الطاهر وجدان الأمة هزاً عنيفاً، وليحرر إرادة الأمة من مرض فقدان الإرادة والصدر الفقيه اعتبر أن وضع العراق والأمة في عصره يشابه وضع الأمة في عصر الإمام الحسين لذلك قرر التضحية بنفسه ودمه ليهز إرادة الأمة والعراق! هكذا هو الصدر مفكراً وفقيهاً وشهيداً، استطاع بفكره تجاوز الفهم الضيق للقضية الحسينية وحدود الضرر والتقية المبالغة، واستطاع بدمه وشهادته أن يصنع فجراً متألقاً للإسلام ومدرسة أهل البيت، حيث ذكر الصدر:" لا سوف أظل أتكلم وأتهجم على السلطة، وأندد بجرائمها، وأدعو الناس إلى الثورة عليها، إلى أن تضطر قوات الأمن إلى قتلي في الصحن الشريف أمام الناس، وأرجو أن يكون هذا الحادث محفزاً لكل مؤمن وزائر يدخل الصحن الشريف، لأنه سيرى المكان الذي سوف أقتل فيه فيقول: ها هنا قتل الصدر، وهو أثر لا تستطيع السلطة المجرمة محوه من ذاكرة العراقيين"[٢٢].

وبمطالعة فتاوى الفقهاء المعاصرين، فسوف نلاحظ أن تغيراً جذرياً طرأ في الموقف من اشتراط وجوب الأمر والنهي بعدم الضرر المطلق حيث كان هذا الاشتراط محل تسالم الفقهاء السابقين تقريباً، أما الآن فإن الغالبية تربط وجوب الأمر والنهي بالمصلحة الأهم وتزاحم الملاكات، وأن تحمل الضرر البالغ ربما وجب في بعض الظروف الخاصة حينما يكون في تحمل الضرر الكبير مصلحة أكبر للإسلام والمسلمين، ومن دون شك فإن تطور البحث الفقهي والاجتهادي في شموليته القرآنية والروائية والعقلية وتنقيح باب التزاحم وتعمق النظرة للثورة الحسينية، فالإسلام مع الثورة الحسينية هو إسلام الجهاد والمبدأ والمواجهة والثبات والتضحية لأجل المظلومين والمستضعفين،وأما الإسلام حينما يعزل عن الثورة الحسينية ويصبح مربوطاً بصورة عاملة بهواجس التقية وعدم الضرر، فإنه يكون . ولو من دون قصد . معزولاً عن قضايا إقامة الشريعة والعدالة وحقوق المستضعفين ومنسلخاً عن جوهر الأهداف القرآنية والنبوية وواقعاً في ذات المشكلة التي أرادت الثورة الحسينية تخليص وتحرير المسلمين منها.[٢٣]

المطلب الثاني : الاصلاح الحسيني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هناك عوامل عديدة أسهمت في الاصلاح الحسيني ونهضة عاشوراء، أهمها: إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ يمكن استكشاف تلك الأهمية عِبر مواقف الإمام في الأوقات المختلفة، ومكاتباته ووصاياه وخُطبه، وكذلك البحوث الروائية والتاريخية؛ فيُستفاد منها جميعاً أنّ أهمّ عامل الاصلاح الحسيني هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ هذه الميزة هي التي رفعت قيمة الاصلاح الحسيني وأكسبته مزيداً الاهتمام؛ فجاء ذلك على لسانه حينما قال:" إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب" (٢٤).

فاتضح بذلك أنّ الإمام الحسين جعل الهدف الأساس من قيامه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ هذا المبدأ ضمان لبقاء الإسلام ؛ لذا عُرف مَن بقي من عائلة الإمام الحسين بعد واقعة كربلاء بأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملوا بعد يوم عاشوراء على إقامة هذه الفريضة المهمة أينما حلّوا.

المقصد الأول:أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاصلاح الحسيني .

أنّ معرفة أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوظيف الأدوات اللازمة والمفيدة للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أمر ضروري ولا مناص منه؛ فالتعرض إلى هذا العنصر، من دون التسلح بالمعلومات اللازمة واستخدام السبل الضرورية وتوفير الآليات المناسبة، قد لا يقف عند حدّ الإخفاق في الحصول على النتيجة المطلوبة، بل من المحتمل أن يؤدي عدم الاهتمام بذلك إلى نتائج عكسية وتنجم عنه أضرار كبيرة جداً على معتقدات المخاطبينً . فلا طائل ممن يتصدى لموضوع الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن لم يكن على دراية تامة بالعوامل والخلفيات والمعوّقات والإشكاليات والظروف الزمانية والمكانية وكل جوانب الموضوع الأُخرى.

إنّما يُكتب النجاح والتأثير للإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يقترن ببرنامج مدروس وخطة محسوبة ولو استطعنا استمداد هذه الأساليب من أقوال الأئمة من أهل البيت واستقائها من أفعال الأولياء الإلهيين فلا ريب في أنّها ستكون أكثر تأثيراً.وإذا ما راجعنا سيرة الإمام الحسين فسوف نجد أنّه كان على الدوام وفي جميع مراحل حياته بصدد إرشاد الأُمة وتطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وسنُدرك أنّ ذلك لم يكن مقتصراً على واقعة عاشوراء. فالرجوع إلى السيرة العملية لأبي الأحرار وتحليل خطاباته ومواقفه المختلفة وكتبه السياسيّة، أثناء صلح الإمام الحسن ومواجهته لأُمراء المدينة الذين انغمسوا بالملذات والأهواء، ثمّ موقفه بعد شهادة أخيه من حكومة معاوية وتهميش العلويين، وتصدّيه للولاة الفاسدين، وتعامله مع الناس الساكتين عنهم، كل ذلك يدلّ على أنّه كان يسعى جاهداً لترسيخ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المراحل والجوانب كافة.

فسعي الإمام الحسين لإحياء هذا العنصر الأصيل لم يكن مختصّاً بنهضة عاشوراء، وإنّما بلغ في تلك الفترة قمّة التجلّي. وبعد تلك النهضة أضحت مواقفه وحركته مثالاً رائعاً للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. ومن المصاديق الواضحة على ذلك: رفض البيعة ليزيد وموقفه الحادّ تجاه والي المدينة، والخروج منها إلى مكة محتجاً على ذلك،وتقديم النصائح إلى الأعداء في مواطن عدّة، وخطاباته في مكة الرامية إلى فضح السياسات الهوجاء لحكومة يزيد.

المقصد الثاني : البعد العبادي في الاصلاح الحسيني .

إنّ نهضة الإمام الحسين كانت تكليفا إلهيّا، ووظيفة شرعية، وعبادة عالية،لا تقاس بها عبادة من العبادات وكذلك أفعال سائر الأئمّة وتروكهم ، وجميع أفعالهم وحركاتهم. ويظهر جليّا في نهضة عاشوراء من خلال صلاة الإمام الحسين في كربلاء تحت أسنّة الحراب، وإكثاره من الدعاء والاستغفار، وتمسّكه بالقرآن تلاوةً وعملاً من خلال محاوراته وسلوكه.ففي ليلة العاشر من المحرم ، اجتمعت كل الظروف والعوامل التي تبعث على اليأس والوهن والضعف ، تراه يبدأ خطبته في مثل هذه الظروف المختلفة ، فجمع الحسين أصحابه عند المساء.

قال علي بن الحسين: " فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أُثني على اللّه أحسن الثناء ، وأحمدُهُ على السراء والضراء ، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلّمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة ، فاجعلنا من الشاكرين "[٢٥]. إذا " في ظل تلك الظروف الصعبة والعسيرة ، ترى الحسين ينطق بالرّضا والتسليم للظروف والعوامل الموضوعية ، لماذا؟

لأنه يعيش ظروفا معنوية عالية. إنه موحّد للّه عقيديا وعمليا وعابد وساجد للّه "[٢٦].حتى أن أحدهم أبدى دهشته وإعجابه بقوله :" واللّه ما رأيت مكثورا قط قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا، ولا أمضى جَنانا منه، إنْ كانت الرّجّالة لتشدُّ عليه فيشدُّ عليها بسيفه فتنكشف

عن يمينه وشماله انكشاف المِعزى إذا شدَّ فيها الذئب "[٢٧]. خصوصا وانه لم ينس أو يتناس الصلاة حتى في أحرج ساعاته.واهتم بإقامة الصلاة في ذلك الوقت العصيب عندما صاح مؤذنه أبو ثمامة الصيداوي وصلى بأصحابهولكن صلاة الخوف قصرا وسهام الأعداء تترى عليه بالرغم من استمهاله إياهم لإقامتها!

يقول الشهرستاني : " لقد كانت صلاة الحسين من أصدق مظاهر إخلاصه للّه وتمسّكه بالشريعة " [٢٨]

يقول الرّواة :" لما حلَّ وقت صلاة الظهر يوم العاشر من المحرم، أمر الحسين زهير بن القين وسعيد بن عبد اللّه الحنفي، أن يتقدّما أمامه بنصف ممن تخلّف معه، ثم صلى بهم صلاة الخوف، فوصل إلى الحسين سهم فتقدّم سعيد بن عبد اللّه الحنفي ووقف يقيه بنفسه حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهمَّ العنهم لعن عاد وثمود ،اللهمَّ أبلغ نبيك عنّي السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فاني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك ، ثم قضى نحبه رضوان اللّه عليه ، فوُجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح " [٢٩] .

علما بأن الحسين حاول ليلة العاشر من المحرم تأجيل القتال عندما بدأ جيش العدو يزحف باتجاه معسكره ، فأرسل أخاه العباس بن علي ليتفاوض مع القوم حتى يُرجئوا القتال إلى الغد، ولم يكن ذلك خوفا من الموت أو خدعةً من أجل البحث عن مخرج ، بل لكي يجد متسعا إضافيا من الوقت يصلّي فيه لربه ويُكثر من الدعاء والإنابة إليه، فقد قال لأخيه العباس:" ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغُدوة وتدفعهم عنّا العشيّة ، لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلمُ أني قد أُحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدُّعاء والاستغفار"[٣٠].

ويروى أنّ أصحاب الحسين باتوا ليلة عاشوراء ولهم دوي كدوي النحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، ومن أجل تلك المظاهر الإيمانية النقية تأثر البعض من الطرف المقابل وانضمّ إلى معسكر الحق.

المبحث الثالث : النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني للخطاب الفقهي المعاصر.

المطلبالأول : مفهوم النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .

يقصد بالنظرية الميتافيزيقية "الغيبية الاختصاصية" التي لها حضور عند بعض علماء الشيعة[[٣١]]، " أنّ الإمام الحسين إنما انطلق في ثورته لأوامر غيبية خاصّة به وجهت إليه، فلم يهدف لإسقاط الأنظمة ولا تأسيس دولة إسلامية ولا إحياء ضمير الأمّة ولا.. كل ما في الأمر أنه نظراً لعصمته وإمامته فقد تلقى أوامر

غيبية لا نقدر على تقديم تفسير عقلاني لها، لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا.. وأنه اندفع لتطبيق تلك التعاليم الربانية. نعم، ترتّب على ثورة الحسين أن حقّقت نتائج باهرة على أرض الواقع، فخلقت مدرسة الثورة في حياة المسلمين، وأسقطت سلطان بني أمية الجائر، لكنّ هذا كلّه لم يكن منظوراً للحسين لحظة خروجه، بل المنظور له أوامر غيبية وجّهت إليه واختصّت به"[٣٢].

وتتميّز بأربع خصائص:

١ . الإمام الحسين شخص متعالٍ عن التاريخ والزمكانية.

٢ . الثورة الحسينية حركة ما فوق تاريخية تأبى التحليل العقلاني.

٣ . الموقف من الثورة هو موقف تسليمي كامل، فلا يمكن أن تكون أنموذجاً للآخرين.

٤ . الإمام الحسين كان مأموراً بالشهادة وفق التقدير الإلهي[٣٣].

ومهما كانت هذه النظرية، فإن لها تأثيراً هائلاً على الفقيه والفقه الإسلامي، وهو أنها تجعل هذه الثورة من خصائص الإمام الحسين، فكما أنّ هناك أحكاماً وواجبات وتشريعات خاصة بالنبي – كوجوب صلاة الليل عليه، كذلك كانت ثورة الحسين تكليفاً خاصاً به غير متوجّه إلى غيره، ومن المعلوم أن مثل ذلك يعني تحييد الثورة الحسينية عن أن تكون مستنداً للاستدلال الفقهي، لا في أصل حدوثها ولا في تفاصيلها ووقائعها؛ لأن خصائص المعصوم لا يستدلّ بها على أحكام شرعية في حقّنا، وعليه، لا يصحّ الاستدلال بثورة الحسينلإثبات جواز الخروج على الأنظمة الفاسدة[٣٤]

المطلب الثاني : شواهد وادلة النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .

نستعرض بعض الشواهد والنصوص المتفرّقة الدالة على النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني ، منها:

١ . ما ورد من طلب الإمام الحسين من والي المدينة عندما طلب منه البيعة ليزيد أن يستمهله فترة، فذهب إلى مرقد النبي، وهناك غلبه النوم، فرأى النبيَّ في المنام، فطلب منه أن يأخذه إليه، فأجابه رسول الله: إن الله شاء أن يراك قتيلاً[٣٥].

فقد يفهم من هذا النص أن هناك اتصالاً غيبياً ما هو الذي حرّك الحسين للثورة، لا أنه كان يريد إسقاط الحكم، ولا أنه أخذ يقدّر الحسابات والأرباح والخسائر، ويقوم بدراسة سياسية ميدانية للموقف. فهذا ما لا تشير إليه الرواية إطلاقاً، بل الموضوع يغلب عليه الطابع الغيبي غير القابل لإخضاعه لأبعاد عقلانية.

٢ . ما جاء في حوار الحسين مع أخيه محمد بن الحنفية، حيث اتفق معه على أن يفكّر بالأمر، ولا يسارع للخروج لأهل الكوفة بعدما علم من غدرهم بأبيه، ولما علم ابن الحنفية بخروجه فيما

بعد طالبه بالموضوع، فأجابه بأنه رأى رسول الله وأنه أخبره أنّ الله شاء أن يراه قتيلاً وأنه شاء أن يرى أهله سبايا[٣٦].وهذا النصّ يدلّ على أنّ ثمّة مشيئة إلهيّة خاصّة تعلّقت بحركة الإمام الحسين، وأنّه ما من تفسير يقف خلف هذا الأمر سوى هذه المشيئة الإلهيّة.

٣ . ما جاء في بعض رسائل الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية، من أنّ من لحق به استشهد، ومن لم يلحق به لم يُدرك الفتح[٣٧].

فهذا النصّ لا يدع مجالاً للارتياب في أنّه كان عالماً بالهزيمة بمعناها المادي، والذي تعبّر عنه كلمة الشهادة، ولا يعقل أن ينطلق شخص لتغيير واقع قائم وهو على يقين بأنّ الأمر سيؤول إلى الموت والهزيمة وعدم النجاح.

٤ . ما جاء في حوار ومكاتبة عبد الله بن جعفر مع الإمام الحسين، حيث ورد فيها أنّ الإمام أخبره بأنّه رأى رسول الله في المنام، وأنّه أمره بأمرٍ وهو ماضٍ إليه، وقد رفض إخبار عبد الله بن جعفر بمضمون الرؤيا التي رآها، وذكر له أنّه لن يحدّث بها حتى يلقى الله عز وجل، وفي بعض صيغ القصّة أنّه أخبره بموته[٣٨].

فهذا يدلّ أيضاً على هذا البعد الغيبي الذي يتصل بهذه القضيّة فيما تعطيه مسألة الاتكال على الرؤيا من دلالات، فلو كان هناك مبرّر عقلاني سياسي لذكره بدل الاعتماد على رؤيا رسول الله.

٥ . ما جاء في حوار الإمام مع عمرو بن لوذان عندما التقاه بُعيد خروجه من مكّة عند بطن العقبة، فبعد أن ذكر له عدم الذهاب، أجابه الحسين بالقول: يا عبد الله! إنّه ليس يخفى عليّ الرأي ما رأيت! ولكن الله لا يُغلب على أمره.[٣٩]

فهذا كلام واضح في أنّه يستصوب موقف ابن لوذان، وأنّ ذلك لا يخفى عليه، لكنّه يتحرّك بمشيئة إلهية تكوينية لا تحكمها حسابات البشر في قضايا السياسة والمواجهة.

٦ . حاول بعض العلماء أن يقارن بين ثورة الحسين وبين فقه الجهاد في الإسلام؛ فرأها تمتاز بأنها لا تخضع لقانون سقوط وجوب الجهاد بزيادة عدد العدو عن الضّعف، وكذلك يشترط في الجهاد عدم ظنّ الهلاك دونها، والجهاد لا يجب على الشيخ الهرم والصبيّ الصغير مع أنّه شارك فيها هؤلاء، فهذا كلّه شاهد اختصاصها[٤٠].

٧ . ما جاء في كلمات الإمام الحسين وهو في الطريق يتحدث عن كتابة الموت على ولد آدم مخطّ القلادة في جيد الفتاة، ويتكلّم عن أوصاله المقطّعة بين النواويس وكربلاء، وأنّه لا مفرّ عن يوم خطّ بالقلم[٤١]؛ فهذا كلّه شاهد أكيد أنّه كان يتجه نحو مصير مأساوي محدّد سلفاً، لا نحو مشروع إسقاط سلطة سياسية فاسدة.

فهذه الشواهد . وغيرها . تؤكّد هذا الأمر، وإلا لو كان لديه مخطّط سياسي اجتماعي لبيّنه لأقرب

المقرّبين إليه وهو ابن الحنفية، ولم يستعض عنه بقضية الرؤيا التي رآها، كما يعبّر بعض الفقهاء[٤٢].

المطلب الثالث : مناقشة النظرية الميتافيزيقية في الاصلاح الحسيني .يمكن أن تناقش هذه النظرية من جهات:

أولاً: إن هذه النظرية والنصوص التي تدعمها تعارضها نصوص أخرى، يقدّم لنا الإمام الحسين فيها تفسيرات عقلانية لثورته، مثل النصوص التي يشير فيها إلى قضيّة الانحراف عن الحقّ، وإلى ترك المعروف، وفعل المنكرات وغيرها وجعلها أسباباً ودوافع لحركته، وهذه النصوص الكثيرة المتفرّقة كلّها تعارض هذا التفسير الغيبي المتعالي عن التعقيل والعقلانية[٤٣].

ومن نماذج هذه النصوص ما ورد في كلماته التي يفسّر فيها مبرّرات ثورته، مثل ما رواه الطبري وابن الأثير وغيرهما في التاريخ عن أبي مخنف عن العقبة بن العيزار: إن الحسين خطب أصحابه:" أيها الناس! إنّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غيري.."[٤٤].

فهذه الرواية تجعل حركة الحسين في هذا الإطار الذي أسّسه الرسول، مما يمكّننا من الاستناد إليها للترخيص في مواجهة الظالم الذي يتصف بهذه الصفات، وهو غير خاص بعصر المعصومين، بل يوجد بعدهم إلى يوم الدين.

وفي خطبة له أنه قال فيها: ".. ألا ترون أن الحقّ لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلاّ شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاّ برماً.."[٤٥]، فالمعيار في هذه الثورة هو عدم القيام بالحقّ بل عمل السلطة بالباطل، وهو معيار كلّي عقلاني ومفهوم، يجعلنا قادرين على الاستفادة من هذه الثورة لتأسيس مبدأ في شرعية الثورات العسكرية المسلّحة ضد الأنظمة الفاسدة.

ثانياً: إنّ بعض النصوص المروية عن الإمام الحسين، تفيد أنه كان يجعل نفسه مصداقاً لقولٍ عام صدر عن رسول الله، فعندما يستشهد بقول جدّه في ضرورة مواجهة انحراف الظالم، فهذا معناه أنه يعتبر نفسه مصداقاً لعنوان كلّي وتكليف عام، وهو ما يبعّد احتمال الخصوصية[٤٦].

ثالثاً: إن النصوص المستدلّ بها هنا حتى لو ثبتت لا تدل على المطلوب؛ إذ لا ملازمة بين أن يعرف الإنسان أنه سوف يستشهد في ثورته

وبين أن تكون هذه الثورة غير عقلانية وخاصّة به، فقد يقدّر مصلحةً للأمة في شهادته، فلا ملازمة بين الأمرين حتى عند الثوار الماديين فضلاً عن الدينيين، فعلم الإنسان بشهادته لا يعني عبثية حركته دائماً بل يمكن تقديم تفاسير عقلانية لذلك(٤٧).

رابعاً: أنّ الإرادة الإلهية قد تعلّقت بشهادة الحسين، وهذا لا يعني أنّ هذه الشهادة غدت خاصّة به؛ بل هذا المدلول أعمّ من الاختصاص وعدمه، وإلا فنحن نعلم أنّ الإرادة الإلهية والمشيئة العليا الربانية قد اقتضت وقوع صلح الإمام الحسن، ومن المؤكّد أنّه قد علم بإلهامٍ من الله بحكم إمامته وعصمته أنّ التكليف الشرعي يستدعي منه أن يوقع الصلح مع معاوية، لكنّ هذا لا يعني أنّ هذا الصلح خاص بالمعصوم، ومجرّد أنّ النص بيّن لنا تعلّق المشيئة بشهادة الحسين وسبي نسائه لا يعني الدلالة الحصرية على أنّ أمراً من هذا النوع لا يمكن أن يتعلّق بغيره، وهذه نقطة بالغة الأهمية، ولا يوجد عندنا أصل اسمه أصالة الاختصاص بفعل الأئمة، وإلا فلو شككنا في أنّ فعلهم كان خاصّاً بهم أو تطبيقاً لحكم إسلامي عام للزم عند عدم إحراز الخصوصية أن لا نستدلّ بفعلهم، وهذا ما لن يقف عند الإمام الحسين بل سيطال مجمل أفعال المعصومين إلا ما حصل يقين من الخارج بأنّ هذا الفعل ليس فيه أي خصوصيّة، ومعه لن يصبح فعل المعصوم حجّةً إلا في موارد قليلة.

خامساً: أنّ المرجع عند الشك في اختصاص النبي بفعل وعدمه أن نحمله على عدم الاختصاص إلا في بعض الحالات القليلة ؛ فإذا كان الشكّ في الاختصاص موجباً لعدم الاختصاص في الأفعال النبوية، فهو كذلك بطريق أولى . في أفعال أهل البيت؛ لندرة الفعل الخصوصي عندهم نسبةً لما عند رسول الله، كما يظهر بمراجعة الأبحاث الفقهية والأصولية عند علماء المسلمين.

سادساً: لنفرض أن بعض الأحكام التفصيلية لم تتوافق فيها ثورة الحسين مع القواعد العامّة في فقه الجهاد في الإسلام؛ فهذا لا يعني صيرورة الثورة خاصّة بالحسين، بل هذا يعطيها خصوصية في موردها من حيث طبيعة الاستثنائية التي كانت تحيط بها، فهذا مثل بعض العناوين الثانوية التي قد تسقط الكثير من العناوين الأولية في موردها، فأيّ تلازم بين هذا الأمر وبين خصوصية الثورة أو لا معقوليّتها.يضاف إلى ذلك، أنّ ما ذكر من خصوصيات لا نحرز كونه خصوصية على تمام النظريات الفقهية، فالجهاد ليس واجباً على الأطفال لكنّه ليس محرّماً لو رضي أهلهم بذلك وأرادوا هم ذلك، وكانت فيه المصلحة للمسلمين، كما أنّ عدم ظنّ الهلاك إن قصد به الظنّ الذي

هو دون اليقين فهذا ليس بشرط في الجهاد قطعاً، وإلا فكلّ جهاد أو أغلب أشكاله فيه ظنّ الهلاك كما هو واضح، وإن قصد به اليقين بالهلاك فهذا ما يسمّى في عصرنا بالعمليات الاستشهادية.

سابعاً: إنّ خبر حواره مع محمد بن الحنفية واحتجاجه بالرؤيا التي رآها يرجع مصدره الرئيس إلى كتاب اللهوف لابن طاووس (٦٦٤هـ)، وقد نقل البقية عنه، وسند السيد ابن طاووس إلى الأصل الذي نقل عنه غير معلوم، فالاحتجاج بهذه الحادثة مشكل. نعم ورد خبر المنام في أمالي الصدوق[٤٨]، لكن بسند ضعيف بجهالة بهجة بنت الحارث بن عبد الله التغلبي المهملة جداً في مصادر الرجال،وكذلك إهمال كل من صفية بنت يونس بن أبي إسحاق الهمدانية ومريسة بنت موسى بن يونس، اللتين لا ذكر لهما عندهم((٤٩))، فالسند مشكل جداً.أمّا خبر عمرو بن لوذان فلا يستند إليه أيضاً؛ لأنّه بهذه الصيغة ورد تارةً مرسلاً كما في إرشاد المفيد، وأخرى بسند فيه لوذان أحد بني عكرمة، وهو رجل مجهول جداً لا ذكر له في مصادر الرجال الشيعية والسنيّة؛ فالاستناد إلى مثل هذه الأخبار . مع قلّة ناقليها ومصادرها التاريخية والحديثية مشكل.[٥٠]

النتائج :

١- إعادة الوعي الإسلامي للمسلمين واستنقاذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف قناع النفاق عن وجوه بني أمية حين أظهروا حقدهم الدفين وعداوتهم لله ورسوله

٢- إن موقف الفقهاء من الثورة الحسينية – بصورة إجمالية- يتلخص في اتجاهات ثلاثة هي:

أ- أن الإمام الحسين لم يتعمد الإضرار بنفسه، إما لعدم علمه بوقوع الضرر عليه أو كونه تحصيل حاصل.

ب- إن حالة الإمام الحسين خاصة لا يقاس عليها.

ت- تقييد وجوب الأمر والنهي بعدم الضرر المطلق والاعتماد على أدلة عدم الضرر دون أي إشارة للثورة الحسينية وهو موقف الغالبية العظمى من الفقهاء!

٣- أنّ الثورة الحسينية ليست من خصائص الإمام الحسين حتى نخرجها عن دائرة الاستناد الفقهي هنا، فضلاً عن أنّ العديد من الروايات التي تعدّ شاهداً لهذه النظرية يصعب إثباته تاريخياً وحديثياً.

الهوامش :

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم ،(ت٧١١هـ)، لسان العرب، ٢ : ٥١٦ .

(٢) الرازي ، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح : ٣٦٧ .

(٣) الأصفهاني، الحسين بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم:٤٨٩ .

(٤) الزبيدي ، باسم ابراهيم،الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه :١١ .

(٥)ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١: ٣٦٠، ظ: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط : ٢٤٣.

(٦) ابن منظور : لسان العرب ، مادة فقه ، ١٣ : ٥٢٢ . ظ : الطريحي، مجمع البحرين ، ٣: ٤٢١.

(٧) محمود ، علي عبد الحليم ، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم :١٥ .

(٨) بلقزيز، عبدالله ، الخطاب الإصلاحي في المغرب :١٥.

(٩)الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، ١: ١٢٦.

(١٠) محمد باقر الصدر(١٤٠٠هـ) ، دروس في علم الأصول ، ١ : ٣٦.

(١١)النوري، سعيد ميرزا ، الخطاب الفقهي للثورة الحسينية ، الاجتهاد ، العدد ٩

(١٢)السيد المرتضى، الذخيرة في علم الكلام مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الأمن من الضرر):٥٥٧

(١٣)النوري، سعيد ميرزا ، الخطاب الفقهي للثورة الحسينية ، الاجتهاد ، العدد ٩

(١٤)الطبرسي، الفضل بن حسن ، مجمع البيان: ٥١٦.

(١٥)النجفي ، محمد حسن ، جواهر الكلام، ٢١ :٣٧٣.

(١٦)شمس الدين ، محمد مهدي ، فقه العنف المسلح في الإسلام:٨٠.

(١٧)المطهري ، محمد حسين ،الملحمة الحسينية،٢ :١٠٦.

(١٨)المطهري ، محمد حسين ، الملحمة الحسينية،٢ :١١٢.

(١٩)المطهري ، محمد حسين ، الملحمة الحسينية،٢ :١١٤.

(٢٠)المنتظري، حسين علي ، دراسات في ولاية الفقيه ، ٢: ٢٥٦ .

(٢١)زين الدين، محمد أمين، كلمة التقوى، ٢: ٣٠٨.

(٢٢)النعماني، محمد رضا ، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار: ٤٢٤.

(٢٣)النوري، سعيد ميرزا ، الخطاب الفقهي للثورة الحسينية ، الاجتهاد ، العدد ٩

(٢٤)المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،٤٤: ٣٢٩.

(٢٥)المفيد ، محمَّد بن محمَّد بن النعمان ، الإرشاد ، ٢ : ٩١.

(٢٦)المطهري ، محمد حسين ، الملحمة الحسينية ، ٣ : ٢١.

(٢٧)المفيد ، محمَّد بن محمَّد بن النعمان ، الإرشاد ، ٢ : ١١١.

(٢٨)الشهرستاني، هبة الدين ، نهضة الحسين : ١٢٤.

(٢٩)ابن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر، اللُّهوف على قتلَى الطّفوف : ٦٦.

(٣٠)المفيد ، محمَّد بن محمَّد بن النعمان ، الإرشاد ، ٢ : ٩٠ . ٩١.

(٣١) تلوح هذه النظرية من كلمات العلماء الاعلام : المجلسي، بحار الأنوار ٤٥: ٩٨؛ والنجفي، جواهر الكلام ٢١: ٢٩٥ . ٢٩٦؛ والمامقاني، تنقيح المقال ٢: ٣٢٧ ؛ وجعفر التستري، الخصائص الحسينية: ٣٠ . ٣١؛ ومحمد صادق الصدر، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين: ١٦٥ . ١٦٦؛ ومحمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى: ١٨٩، ١٩٢.

(٣٢)حول هذه النظرية راجع: الشاهرودي ، محمود الهاشمي ، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع، مجلة المنهاج، العدد ٢٩: ٢٦؛ والحكيم ، محمد باقر، ثورة الحسين، النظرية الموقف النتائج: ٣٣ . ٣٤.

(٣٣) ظ: سرد هذه الخصائص الدكتور علي بيات، قيام عاشورا؛ بايدها وبيامدها (بالفارسية)، مجلة حوزه ودانشكاه، ع٣٣: ٦ . ٧.

(٣٤)حب الله ، حيدر محمد كامل ، الحركة الحسينية والتأصيل الفقهي لشرعية الثورة : ٣

(٣٥)البحراني،هاشم بن سليمان بن إسماعيل، مدينة المعاجز ٣: ٤٨٣ . ٤٨٤.

(٣٦)ابن طاووس ، اللُّهوف على قتلَى الطّفوف : ٣٩ . ٤٠؛ ظ: الحلي، الحسن بن سليمان ، المحتضر: ٨٢؛ ظ: المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤؛ والبحراني، العوالم: ٢١٤؛ والقندوزي، ينابيع المودّة ٣: ٦٠؛ وموسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٩٨ . ٣٩٩.

(٣٧) ابن قولويه، كامل الزيارات: ١٥٧؛ والحلي، مختصر بصائر الدرجات: ٦؛ وقطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح ٢: ٧٧١ . ٧٧٢؛ وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٠؛ والحلي، المحتضر: ٨٢؛ والبحراني، مدينة المعاجز ٣: ٤٦١ . ٤٦٢؛ والمجلسي، بحار الأنوار: ٤٥: ٨٧؛ البحراني،هاشم بن سليمان بن إسماعيل، العوالم: ١٥٥، ٣١٧.

(٣٨)ظ: تاريخ الطبري ٤: ٢٩١ . ٢٩٢؛ ظ:ابن أعثم الكوفي، الفتوح ٥: ٦٧؛ ظ: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٥؛

ظ:ابن كثير، البداية والنهاية ٨: ١٧٦، ١٨١؛ والبحراني، العوالم: ٢١٦؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ٤٠ . ٤١.

(٣٩)ظ: تاريخ الطبري ٤: ٣٠١؛ والإرشاد ٢: ٧٦.

(٤٠) التستري، الخصائص الحسينية: ٣٠ ؛ وفهم ذلك المامقاني في تنقيح المقال ٢: ٣٢٧، عند ترجمة عمرو بن جنادة بن كعبالخزرجي

(٤١)ظ: ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ٢٩؛ والحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٦؛ واللهوف: ٣٨؛ وكشف الغمّة ٢: ٢٣٩؛ والزرندي الشافعي، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ٩٤؛ وبحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦ . ٣٦٧؛ والعوالم: ٢١٦ . ٢١٧.

(٤٢) الشاهرودي ، محمود الهاشمي ، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع: ٢٧ . ٢٨.

(٤٣)الشاهرودي ، محمود الهاشمي ، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع: ٣٠.

(٤٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤؛ والكوفي، الفتوح ٥: ٨١؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ٤٨؛ وبحار الأنوار ٤٤: ٣٨١ . ٣٨٢؛

(٤٥)تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥.

(٤٦) حبيب الله طاهري، تحقيقي بيرامون ولايت فقيه: ٣٠٠.

(٤٧)الشاهرودي ، محمود الهاشمي ، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع،: ٣٢ . ٣٣.

(٤٨) أمالي الصدوق: ٢١٧.

(٤٩)التستري، قاموس الرجال ١٢: ٣٤٤؛ والنمازي، مستدركات علم رجال الحديث ٨: ٥٨٤ . ٥٨٥.

(٥٠)حب الله ، حيدر محمد كامل ، الحركة الحسينية والتأصيل الفقهي لشرعية الثورة :٧ .

المصادر :

١الكوفي ، أبو محمد أحمد بن أعثم (١٣٩٥هـ)، الفتوح، حيدرآباد الدكن،

٢ابن الأثير، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٣ابن شهر آشوب، محمد بن علي ،مناقب آل أبي طالب ،الناشر المكتبة الحيدريةتاريخ الإصدار ١٣٧٦ هـ

٤ابن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر، اللُّهوف على قتلَى الطّفوف ، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٧ .

٥ابن قولويه،جعفر بن محمد ، كامل الزيارات ،تحقيق: الشيخ جواد القيومي ، لجنة التحقيق ط الأولسنة الطبع: عيد الغدير ١٤١٧

٥ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية ، الناشر: مكتبة المعارف بيروتسنة النشر: ١٤١٠ – ١٩٩٠

٧ابن منظور ، محمد بن مكرم ،(ت٧١١هـ)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مادة (صلح)

١٨الأصفهاني، الحسين بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق صفوان عدنان ، دار القلم ، دمشق ، ط ٣، ٢٠٠٢م.

٩البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل، مدينة المعاجز ، نشر: مؤسسة المعارف الاسلامية. ط١ ١٤١٣ هـ. ق.المطبعة: بهمن.

١٠بلقزيز، عبدالله ، الخطاب الإصلاحي في المغرب ، دار المنتخب ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧م،

١١التستري، جعفر الخصائص الحسينية ، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، ط ٤، ١٩٥٠م؛

١٢التستري، محمدتقى، قاموس الرجال،الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي، جامعه المدرسينالحوزه العلميه، قم ،

١٣حب الله ، حيدر محمد كامل ، الحركة الحسينية والتأصيل الفقهي لشرعية الثورة ،

١٤حبيب الله طاهري، تحقيقي بيرامون ولايت فقيه ، مؤسسة الصراط المبين، قم .

١٥الحكيم ،محمد باقر الحكيم، ثورة الحسين، النظرية الموقف النتائج ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت

١٦الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر،تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدي عليه السلام الطبعة: الاولى

١٧الحلي ، جعفر بن محمد ابن نما ، مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان ، ١٤٠٦ هـ ، الطبعة الثالثة، مطبعة أمير ، قم .

١٨الحلي ، الحسن بن سليمان ، المحتضرتحقيق: سيد علي أشرف ط٣، ١٤٢٤ هـ المطبعة: شريعتالناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية

١٩الحلي، الحسن بن سليمان ، مختصر بصائر الدرجات ،ط١ سنة: ١٣٧٠ هـ الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف

٢٠الحليم ، محمود علي عبد ، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ،ط١، ١٩٩٤م

٢١الدكتور علي بيات، قيام عاشورا؛ بايدها وبيامدها (بالفارسية)، مجلة حوزه ودانشكاه،

٢٢الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، عنى بترتيبه محمود خاطر ، دار المعارف ،القاهرة.
٢٣الراوندي ، قطب الدين ، الخرائج والجرائح ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي ط١ ، سنة ذي الحجة ١٤٠٩هـ .
٢٤الزبيدي ، باسم ابراهيم ،الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه ، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلام ، ط١،٢٠٠٥م .
٢٥الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه ، ط٢ (الكويت: مطبعة الصفوة، ١٤١٣ هـ)
٢٦الزرندي جمال الدين محمد بن يوسف ، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول، مجمع احياء الثقافة الاسلامية ط١ ١٤٢٥هـ
٢٧زين الدين، محمد أمين، كلمة التقوى ، الطبعة: الثالثة ، سنة الطبع: ١٤١٣هـ
٢٨الشاهرودي ، محمود الهاشمي ، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع ، مجلة المنهاج، العدد ٢٩ .
٢٩شمس الدين ، محمد مهدي ، فقه العنف المسلح في الإسلام ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٨م .
٣٠الشهرستاني، هبة الدين ، نهضة الحسين ، الناشر : مطبعة دار التضامن-بغداد: ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م
٣١ الصدر محمد محمد صادق ، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ، الطبعةالاولى ٢٠٠٥م .
٣٢الصدر: محمّد باقر ، دروس في علم الأصول- الحلقات- ط١، ١٩٧٨هـ ، نش: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.
٣٣الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين ، ألامالي ،الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩م .
٣٤الطبرسي : الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسيرعلوم القرآن، أوفسيت ١٤١٧هـ ، نش: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ايران.
٣٥الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩م .
٣٦الطريحي: فخر الدين بن محمّد (ت: ١٠٨٥هـ).مجمع البحرين، ط١، تح: أحمد الحسيني، نش: المكتبة المرتضوية، طهران- إيران.
٣٧عبدالله بن الشيخ بن بيه، الخطاب الإسلامي بين وحدة القواطع ، بحث منشور بمجلة الأمة الوسط العدد الثاني، ٢٠١٠ م
٣٨القندوزي، سليمان بن ابراهيم ، ينابيع المودّة ،الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت. تأريخ الاصدار : ١٤١٨هـ
٣٩كاشف الغطاء ، محمد حسين ، جنة المأوى، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨م،
٤٠المامقاني، الشيخ عبدالله ، تنقيح المقال في علم الرجال ،الناشر: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث؛ الطبعة: الاولى ١٤٢٣هـ.
٤١المجلسي : محمّد باقر بن محمّد تقي (ت: ١١١١هـ).بحار الأنوار، ط٢، نش: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٤٢المرتضى، الذخيرة في علم الكلام مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الأمن من الضرر)

٤٣المرعشي، نور الله الحسيني ، شرح إحقاق الحق ،الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران
٤٤المطهري ، محمد حسين ، الملحمة الحسينية ، الناشر: المركز العالمي للدراسات الاسلامية؛ الطبعة: الثالثة ١٩٩٢م .
٤٥المفيد ، محمَّد بن محمَّد بن النعمان ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الناشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث–بيروت.
٤٦المنتظري، حسين علي ، دراسات في ولاية الفقيه، الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة: الثانية ١٩٨٨.
٤٧النجفي : محمّد حسن الجواهري (ت: ١٢٦٦ هـ).جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط١، تح ونش: مؤسسة النشر الإسلامي،إيران.
٤٨النعماني، محمد رضا ، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار.الناشرمحمد رضا النعماني ، الطبعة: الثانية ١٩٩٧.
٤٩النوري، سعيد ميرزا ، الخطاب الفقهي للثورة الحسينية ، الاجتهاد ، العدد ٩

ABSTRACT

The revolution of Imam Hussain has many and deep goals, all of which are free to search, excavate, and scrutinize, and we want to shed light on one of the most important goals of that blessed revolution, which was its slogan: reform, and this is what Imam Al-Hussein declared.

Research problem: What is the impact of the Husseini reform on contemporary jurisprudential discourse in light of metaphysical theory؟

Research objectives: The research aims to explain the Husseini reform and its impact on the production of contemporary jurisprudential discourse through theories that explain the Husseinian renaissance and the course of events in it

Research methodology: The researcher divided the research into an introduction and three demands. He addressed in the introduction the research problem, its objectives,

and its methodology

I will address in the first requirement: the concept, reasons and stages of the Husseini reform and its impact on the jurisprudential discourse

In the second requirement, I will address the impact of the Husseini reform on contemporary jurisprudential discourse

In the third requirement I will deal with the metaphysical theory in the Husseini reform of contemporary jurisprudential discourseIn conclusion, the researcher mentioned some of the findings and recommendations that emerged from the research that the researcher had reached in his research

Key words: reform, discourse, jurisprudence, contemporary, metaphysics.